شرح الأصول الثلاثة

للإمام المجدد شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وأجزل له المثوبة

شرح فضيلة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا شرح مختصر لطيف على «الأصول الثلاثة» لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك ـ حفظه الله ـ فرَّغه من الأشرطة الإخوة في المكتب العلمي في شبكة نور الإسلام، وأعتنوا به كي يرى طريقه في عالم المطبوعات، وينتفع به طلبة العلم، فأمرني الشيخ ـ حفظه الله ـ أن أراجعه تمهيدا لقراءته عليه، فراجعته وصححت ما يحتاج إلى تصحيح، ثم بدأت بالقراءة، فقرأت قطعة من أوله إلى قول الإمام المجدد ـ رحمه الله ـ:"اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم .. " بعدها رأى الشيخ أن الشرح مختصر، والكتاب خدم قبل ذلك بشروح كثيرة، فترجح عنده أن المصلحة في العدول عن طبعه.

ورأيت أن من المصلحة أن ينشر الكتب في الشبكة لينتفع به طلبة العلم، واستأذنت الشيخ في ذلك؛ فأرجع الأمر إلي.

والكتاب على صيغة "وورد" لم يُعتن فيه من الجانب الفني كثيرا؛ إذ لم يتول صفَّه متخصص في صف الكتب.

فجزاى الله الإخوة في شبكة نور الإسلام ـ وعلى رأسهم الشيخ محمد الهبدان ـ خير الجزاء على ما قاموا به من جهد في هذا الكتاب، وعلى حرصهم واهتمامهم بتراث الشيخ وتقريبه للأمة.

كتبه

عبد الرحمن بن صالح السديس

23/7/1429هـ

assdais@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمـده و نسـتعينه ونسـتغفره ونعـوذ بالله من شـرور أنفسـنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله } يا أيها الــذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون { [آل عمــران : 102]} يا أيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجهـا،وبث منهما رجالا كثـيرا ونسـاء واتقـوا الله الـذي تسـاءلون به والأرحـام إن الله كـان عليكم رقيبا {[النساء :1]} يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصـلح لكم أعمالكم ويغـفـر لكم ذنوبـكم ومن يطـع الله ورسوله فقد فاز فـوزا عظيما { [الأحزاب :70، 71]

أما بعد :

فـإن أصـدق الحـديث كتـاب الله وخـير الهـدي هـدي محمد ، وشر الأمـور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد :

فهـذا شـرح مختصر على " الأصـول الثلاثة " للشـيخ محمد بن عبد الوهـاب، شـرح الشـيخ عبد الـرحمن بن ناصر الـبراك، ألقـاه في أحد مسـاجد في مديــنة الريـاض، رغبت مؤسسة "شــبكة نــور الإســلام" بمراجعته وعرضه على الشـيخ لإقراره وتعديله وإخراجه على صورة كتاب مقروء؛ ليعم به النفع.

وكان المنهج الذي سلك في هذا الشرح كما يلي:

1 ـ مراجعة النص والتأكد منه.

2 ـ تهيئته وتنسيقه ليتناسب مع الطباعة.

3 ـ عزو الآيات إلى أماكنها من المصحف.

4ـ تخريج الأحاديث وذلك باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما فإنه يقتصر في الغالب على الكتب الستة، مع ذكر كلام المحدثين في صحة الحديث وضعفه، ولا يستقصى ذلك .

5 ـ عزو الأقوال إلى قائليها وأماكنها.

6-مرجعة المتن على طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، وجعله بين قوسين، وتمييزه عن الشرح بخط عريض.

وفي الختام نحمد الله أن يسر إتمام خدمة هذا الكتاب، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا لهذه الغاية ، وبالله التوفيق فهو نعم المعين .والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المكتب العلمي في شبكة نور الإسلام

www.islamlight.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في هذه الرسالة القيمة المعروفة بـ"الأصول الثلاثة": **(اعلم رحمك الله)** هذا خطاب لطالب العلم، والمعنى: تعلم، واجتهد في العلم.

وقوله : **(رحمك الله)** هذا من تلطف الشيخ بطلاب العلم بالدعاء لهم، ومن رحمه الله؛ أفلح وسعِد، ونال خير الدنيا والآخرة.

وقوله: **(أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)** أي: أربع مسائل يجب علينا معرفتها.

(الأولى: العلم) والعلم منه ما هو فرض عين على كل مكلف، ومنه ما هو فرض كفاية.

(وهو: معرفة الله) بأسمائه وصفاته، **(ومعرفة نبيه)** محمد ، **(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة).**

وهذه المعارف الثلاثة هي: الأصول الثلاثة التي سيتكلم عنها الشيخ إجمالاً وتفصيلاً.

(الثانية: العمل به.)؛ لأن هذا هو المقصود من تعلم العلم، وليس المقصود مجرد تحصيل معلومات في الذهن، وإنما المقصود بالعلم الشرعي: هو تحقيق الإيمان، والعمل الصالح؛ فالعلم بلا عمل يكون وبالاً على صاحبه، وحجة عليه ــ نعوذ بالله ـ.

(الثالثة: الدعوة إليه.) فإذا اجتهد الإنسان وحصَّل علماً، وعمل به فعليه ــ أيضاً ـ أن يُعلِّم، ويدعو، ويأمر وينهى، وينفع الآخرين؛ لأنَّ هذه وظيفة الرسل وأتباعهم.

(الرابعة: الصبر على الأذى فيه.) لأن من تصدى لدعوة الناس وأمرهم ونهيهم عمَّا تعودوه؛ لابد أن يحصل له منهم أذى بالكلام وبالفعل، فلابد له من الصبر على ذلك، وهكذا قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام:34].

فالصبر هو أساس القيام بالمهمات والأعمال الصالحة.

قال الشيخ **: (والدليل)** على هذه المسائل **(قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:1-3])**

فهذه السورة ثلاث آيات :

الأولى قوله تعالى : "﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾" وهذا قسمٌ من الله، والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه، والعصر هو: الدهر المكون من الليالي والأيام، والشهور والأعوام[1]، وهو عمر الإنسان، وهو ميدان العمل .

الآية الثانية: قوله تعالى : " ﴿ إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾" هذا هو المقسم عليه، و "الـ" هنا للجنس، والمعنى: أن كل إنسان في خسارة، والخُسر: ضد الربح، إلا من استثنى الله بقوله:

﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ فمن حقق هذه الأركان الأربعة = فاز بالربح العظيم، ونجا من الخسران؛ فحظ الإنسان من الربح بحسب حظه من هذه الخصال الأربعة.

﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ﴾ والإيمان لا يكون إلا بعلم، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ وهذا ثمرة العلم والإيمان، فمن رزقه الله العلم والإيمان = عمِلَ الصالحات.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ ﴾ أي: نصح بعضهم بعضاً، وذكَّر بعضهم بعضاً، والحق: يشمل العلم والإيمان، والعمل الصالح.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة العمل الصالح، وهو يدخل في الإيمان، فهذه الأمور الأربعة بعضها يدخل في بعض، فعطف الأعمال الصالحة على الإيمان، وعطف التواصي على عمل الصالحات، كلها من عطف الخاص على العام.

فدلت هذه السورة على المسائل الأربع التي ذكرها الشيخ:

1. مسألة العلم يدل لها قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ﴾ .
2. ومسألة العمل يدل لها قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾.
3. ومسألة الدعوة يدل لها قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ ﴾.
4. ومسألة الصبر يدل لها قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

(قال الشافعي رحمه الله تعالى) الإمام المعروف محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم [2]). ومراده أنها سورة موجزة مختصرة، إلا أن لها دلالة عظيمة، حيث إنها دلت على أن الناس فريقين: خاسر ورابح، وفيها ذِكر أسباب الربح والفوز والفلاح.

(وقال البخاري رحمه الله تعالى) الإمام محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح في كتابه: "الجامع الصحيح "- في "كتاب العلم"-: (بابٌ: العلمُ قبل القول والعمل- وللدليل قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد:19]) فأمر الله أولاً: بالعلم بالتوحيد ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلا ٱللَّهُ ﴾ ، ثم أمر ثانياً: بالاستغفار فقال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ وهو من العمل. قال الشيخ: (فبدأ بالعلم

---

[1] (1) جامع للبيان: (30/290).

[2] (2) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة ص482، ولبن كثير في تفسيره: 1/205 بنحوه.

(2) صحيح البخاري 1/ 24 بنحوه.

قبل للقول والعمل(2)} أي: بدأ الله في الآية بالعلم قبل القول والعمل، وهو: الاستغفار.
يقول الشيخ رحمه الله: **(اعلم رحمك الله)** هذا من جنس ما قبله. **(أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن).** معناه: أن العلم بمسائل الدين فرض على كل مسلم ومسلمة، على الرجال وللنساء، فرض عين أو كفاية، قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل:97].
(الأولى) : أي: المسألة الأولى من المسائل الثلاث أن نعلم **(أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً)** ، أي مهملين لا نؤمر ولا نُنهى، ولا نسير على منهج قويم، **(بل)** إنه سبحانه وتعالى قد **(أرسل إلينا رسولاً)** بالهدى ودين الحق **(فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار).**
هذه المسألة الأولى ومعناها : الإقرار بتوحيد الربوبية، ومن ربوبيته تعالى إنعامه على عباده، وأعظم نعمه على عباده إرسال للرسل، وإنزال للكتب لتعريف العباد بربهم، وبحقه عليهم.

قال: **(والدليل)** على هذه المسألة: **(قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل:15-16])** فاستدل على الرسالة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً ﴾ أي: أرسل تعالى إلى الناس محمدا ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ وهو: موسى وهارون عليهما السلام ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ أي: كذَّب فرعونُ موسى وهارون،﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:23،24]، قال الله: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ أخذه الله أخذا وبيلا، أي: شديدا؛ بأن أغرقه وجنوده في البحر، ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾ ، فالمعنى: فاحذروا أن تكذبوا رسولكم فيأخذكم كما أخذ فرعون.
والدليل على أن الله خلقنا ورزقنا قوله تعالى : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ } الآية [الروم:40].
(الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل).
وهذه المسألة هي مسألة توحيد العبادة، وهو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يُشرك معه في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وما دونهما من باب أولى .
(والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: 18]). فنهى عن دعاء غيره سبحانه.
فتضمنت المسألة الأولى توحيد الربوبية، وتضمنت المسألة الثانية توحيد العبادة، ولا يكون الإنسان مسلما حتى يقر بالتوحيدين جميعا، فلا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية، فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام.
المسألة **(الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحَّد الله)** أن من أطاع الرسول كما في المسألة الأولى، ووحد الله كما في المسألة الثانية **(لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب)** لا يجوز له أن يحب أعداء الله، وأن يحتفي بهم ، وأن يكرمهم وأن يعظمهم ، فلا تجوز موالاة من حاد الله ورسوله من

الكفار والفجار، والمحادَّة تطلق على: المعادة والمخالفة الشديدة، ويُعبَّر عنها بالمشاقَّة، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:4] .

(والدليل قوله تعالى : ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءابَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلاٰنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]). لا تجد قوما مؤمنين يوالون الكافرين؛ لأنَّ الإيمان يمنع من ذلك، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء ﴾ [المائدة:81]؛ ولكنهم لا يؤمنون بهذه الثلاثة؛ فاتخذوهم أولياء ، وهذا الكلام يعود إلى الذين قال الله فيهم : ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:80]، وهنا قال : ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فإذا وجدنا من يواد ويوالي ويعظم الكافرين المحادين لله ورسوله = علمنا أنه ليس بمؤمن، لأنَّ المؤمنين لا يكونون كذلك، قال الله: ﴿ وَلَوْ كَانُواْ ءابَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ ﴾ وقال في آية أخرى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ءابَاءكُمْ وَإِخْوٰنَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مّنكُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [التوبة: 23] ، ﴿ وَلَوْ كَانُواْ ءابَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلإِيمَـٰنَ ﴾ فهؤلاء المؤمنون الصادقون المعادون لأعداء الله = هم الذين كتب الله الإيمان في قلوبهم، ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلاٰنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾ وهؤلاء هم حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون، وقد ذكر الله هؤلاء في مقابل حزب الشيطان، وهم: الكفار والمنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهِ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْء أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَـٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلخَـٰسِرُونَ﴾[المجادلة: 18ـ19] هما حزبان، فعاقبة حزب الشيطان الخسارة، وعاقبة حزب الرحمن الفلاح والفوز، والظفر بالمطلوب والمحبوب والنجاة من المرهوب.

ثم قال الشيخ: **(اعلم)** أمر بالعلم وفيه توجيه وتنبيه وتعليم، **(أرشدك الله لطاعته):** أي: وفقك وهداك الله لطاعته، وهذه عادة للشيخ يصدر بعض الدروس بالدعوة لطالب العلم.

(**أن الحنيفية ملة إبراهيم : أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين**).

الحنيفية نسبة إلى الحنيف، والله -سبحانه وتعالى- وصف إبراهيم عليه السلام بأنه حنيف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَـٰنِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل:120]ـ ، وجاء

في الحديث : " بُعثت بالحنيفية السمحة "[1] قال سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:123] ، فالملة الحنيفية ملة إبراهيم هي: عبادة الله وحده لا شريك له، بإخلاص الدين له سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ: **(وبذلك أمر الله جميع الخلق، وخلقهم لها.)** أمر الله جميع الناس بإخلاص العبادة له، كما قال الله تعالى: ﴿ يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِىْ خَلَقَكُمْ ﴾ [البقرة:21] إلى قوله: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، فالله أمر جميع الناس أن يعبدوه وحده لا شريك له، وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء:36] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلْطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:36]، وقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له **(كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذّاريات:56].)**

قال الشيخ : **(ومعنى يعبدون : يوحدون)** أي يعبدوه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، فإذا دخلها الشرك أفسدها، ولم تكن عبادة ، فمن عبد مع الله غيره فإنه لا يعد عابداً لله.

قال الشيخ: **(وأعظم ما أمر الله به التوحيد)** فأوجب الواجبات على الإطلاق هو توحيد الله بالعبادة، وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"، وهي أول واجب على العبد. وأعظم الذنوب هو الشرك الأكبر، ويختص من بين سائر الذنوب بثلاثة أشياء:

أولاً : أنه لا يُغفر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء:48].

ثانيا: أنه يحبط جميع الأعمال، فمن عبد مع الله غيره حبطت سائر أعماله.

ثالثا: أنه موجب للخلود في النار لمن مات عليه، فمن مات على الشرك الأكبر = فهو مخلد في النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَوْلَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:6].

قال الشيخ: (**وهو**) أي: التوحيد (**إفراد الله بالعبادة**).

(وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه) ولتخاذ الند له، قال ابن مسعود : سألت النبي أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك "[2] أي: مثلاً.

(والدليل) على هذا **(قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء :36]).** فأمر بعبادته ونهى عن الشرك به، فيجب على كل مسلم أن يجتهد في تحقيق التوحيد، وأن يحذر من الشرك الأكبر، يقول ابن القيم:

وللشركُ فاحذره فشركٌ ظاهرٌ ** ذا للقسم ليس بقابلِ الغفرانِ[3]

---

[1] (?) أخرجه أحمد 5/266 من حديث أبي أمامة ، وضعفه ابن رجب في فتح الباري 1/149، والعراقي في المغني 4/234، ولنظر: المقاصد الحسنة (214) فقد ذكر له عدة شواهد.

[2] (?) أخرجه البخاري (4477)، ومسلم (86).

[3] (?) الكافية الشافية ص189.

يقول الشيخ رحمه الله: **(فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ)** هذه هي الأصول التي سميت بها هذه الرسالة "الأصول الثلاثة" أو "ثلاثة أصول" ، وهي أصول العلم الشرعي، أو أصول المعرفة الصحيحة.

الأصل الأول: معرفة العبد ربه: بأنه الله الخالق لكل شيء المتفضل على عباده بجميع النعم، المستحق للعبادة.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ بما يشتمل عليه من عقائد وأحكام.

الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ أنه رسول من عند الله إلى الناس كافة جاء بالهدى ودين الحق.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، وهي فتنة القبر، فإذا وضع الميت في القبر " يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ " قال: " فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة " قال: " فيأتيه من روحها وطيبها " قال: " ويفتح له فيها مد بصره " قال: " وإن الكافر " فذكر موته قال: " وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار " قال " فيأتيه من حرها وسمومها " قال: " ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه"[1]، وقد ذكر الشيخ هذه الأصول مجملة، وسيتكلم عنها بالتفصيل واحدا واحدا بطريقة السؤالِ والجوابِ، وطريقةُ السؤال والجواب طريقة تعليمية جيدة ومفيدة .

---

[1](?) رواه أحمد 4/287، وأبو داود (4753)، وصححه ابن خزيمة في التوحيد ص 119، وابن جرير في تهذيب الآثار ــ مسند عمر ـ 2/491-، من حديث البراء ﷺ مطولا، وصححه ـ أيضا ـ ابن القيم في الروح ص88 .

شرع الشيخ- رحمه الله تعالى - في تفصيل الأصل الأول فقال:

(**فـإذا قيل لـك: من ربك ؟ فقل : ربي الله الـذي ربـاني**) أي خلقـني وأنشـأني (**وربى جميع العـالمين بنعمه**) فهو المنعم على العبـاد بكل ما لـديهم من النعم ﴿ وَمَا بِكُم مّن نّعْمَـةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:53]، وهـذا المعـنى مـأخوذ من معـنى الرب، فالرب ـ كما سيأتي ـ من معناه المالك والمنعم، والمعبود.

قـال: (**وهو معبـودي ليس لي معبـود سـواه، والـدليل قوله تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْـدُ للَّهِ رَبّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: 2]**) الشـاهد قولـه: "رب العـالمين" ، ﴿ ٱلْحَمْدُ للَّهِ ﴾ الثناء كله يستحقه هو -سبحانه وتعالى- ، وهو ﴿ رَبّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

قــال الشــيخ : (**وكل ما ســوى الله عَــالَم، وأنا واحد من ذلك العــالم**) السماوات والأرض وما فيهن عالَم، كل ما سوى الله عـالَم، قيل : سـميت الموجـودات عالماً؛ لأنها علامة على خالقها ، ومدبرها سبحانه وتعالى.

(فإذا قيل لـك: بم عـرفت ربك ؟) أي: بـأي طريقة عـرفت ربك **(فقـل)** عرفته **(بآياته ومخلوقاته).**

وأراد الشـيخ بقوله : " بآياته ومخلوقاته ": الآيـات الكونيـة، والآيـاتُ الكونية : هي مخلوقاته ، والعطف في قوله "آياته ومخلوقاته " لا يدل على المغايرة ، فالآيات الكونية هي مخلوقات .

قــال : (**ومن آياته الليل والنهــار، والشــمس والقمــر، ومن مخلوقاته السـماوات السـبع والأرضـون السـبع، وما فيهن وما بينهما**) ولا يخفى أن الليل والنهار والشمس والقمر هي آيات ومخلوقـات ، والسـماوات والأرض ومن فيهن هي آيات ومخلوقـات ، قـال الله تعـالى : ﴿ وَمِنْ ءايَـٰتِهِ خَلْـقُ ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَٱلاْرْضِ ﴾ [الروم:22]ـ ﴿ وَفِى ٱلاْرْضِ ءايَـٰتٌ لّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الـذّاريات: 20]ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّـمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:32] ، فهذه الآيات الكونية .

(وللدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لاَ تَسْـجُدُواْ لِلشَّـمْسِ وَلاَ لِلْقَمَـرِ وَٱسْـجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُـدُونَ ﴾ [فصلت: 37]). إذاً: هن مخلوقات، وآيات، أي: علامات على خالقها وصانعها ومحكم نظامها.

(وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَمَـٰوٰتِ وَٱلاْرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْـتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَـرْشِ يُغْشِـى ٱلَّيْـلَ ٱلنَّهَـارَ يَطْلُبُـهُ حَثِيثًا وَٱلشَّـمْسَ وَٱلْقَمَـرَ وَٱلنُّجُـومَ مُسَـخَّرٰتٍ بِـأَمْرِهِ أَلاَ لَـهُ ٱلْخَلْـقُ وَٱلاْمْـرُ تَبَـارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:54]) فهو خالق هذه العوالم، وله الأمر، فهو الذي يدبر هذه العوالم بأمره سبحانه وتعالى.

ومعرفة العباد ربهم بآياته معرفة عقلية؛ لأن من ينظر في هذه الآيات ويتدبرها = يدرك أن لها خالقاً، وأن الذي خلقها حكيم وعليم وقدير وعظيم سبحانه وتعالى.

والطريق الثـاني لمعرفة الله هـو: الـوحي الـذي بعث الله به رسـله، فنعـرف ربنا بأسمائه وصفاته بما بيَّن لنا في كتابه، ومنها أنه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبّرُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْـرِكُونَ * هُـوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَـارِىء ٱلْمُصَـوّرُ لَـهُ ٱلاْسْـمَاء ٱلْحُسْـنَىٰ ﴾

[للحشر:23،24] ، هذا تعريف من ربنا لنا بطريق للوحي وللشرع، فالله عرَّف عباده بنفسه بآيلته للكونية وهي المخلوقات، وبآيلته الشرعية وهي آيات للقرآن.

يقول الشيخ رحمه الله: (**والرب: هو المعبود**). والرب الخالق لكل شيء المربي لعباده بنعمه هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

(والدليل قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:21-22]). فأمر الله سبحانه وتعالى جميع الناس أن يعبدوه ويتركوا عبادة ما سواه، وهذا هو معنى "لا إله إلا الله "، وذكر سبحانه وتعالى المعاني المقتضية لعبادته وهي: أنه خالقهم وخالق آبائهم وخالق السماوات والأرض، وهو الذي ينزِّل الغيث ويخرج الأرزاق، ومن هذا شأنه فهو المستحق للعبادة، فقوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ هذا يتضمن إثبات العبادة لله، وقوله: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ للَّهِ أَندَاداً ﴾ [البقرة:22]ـ يتضمن نفي إلهية من سوى الله؛ لأنه تعالى لا ند له.

(**قال ابن كثير رحمه الله تعالى:**) المفسر الشهير في "تفسير القرآن العظيم" (**الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة**) ([1]) . نعم، خالق السماوات والأرض، الذي جعل ﴿ ٱلسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ [البقرة:22]ـ هو الذي يستحق أن يُعبد، هذا موجَب العقل، فمن عبد مع الله غيره = فقد ضل عن الصراط المستقيم، وعدل بالله العظيم مَن ليس مثله، والله تعالى لا مثل له، ومن عبد مع الله غيره = فقد جعله نداً لله، ومثيلاً لله.

ثم قال الشيخ : (**وأنواع العبادة التي أمر الله بها : مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى**) هذه العبادة بأنواعها كلها لله تعالى ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُم ﴾وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾[الذاريات:56] قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الزمر : 66]ـ ، وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة:5] أي: لا نعبد غيرك.

والعبادة أنواع كثيرة:

منها أعمال قلبية: مثل: الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشية.

ومنها أعمال ظاهرة: وهي: أعمال الجوارح : كالاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، ومنها: الركوع والسجود والصيام والحج والجهاد، وهناك أنواع أخرى، وإنما ذكر الشيخ هذه على سبيل المثال ولهذا قال: "وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله " فالعبادة محض حقه سبحانه وتعالى.

(والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن:18]). السجود والصلاة لله وحده، والمساجد إنما تبنى لعبادته وحده لا

---

[1] (؟) تفسير لبن كثير 1/197 بمعناه.

شريك له ﴿ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره، ولا تتوجهوا بطلب الحوائج إلا إليه ﴿ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: 106] ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف : 55]. **(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)؛** لأنه أشرك بالله، أي: عبد مع الله غيره، وجعله نداً لله في عبادته.

(وللدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:117]).

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾، وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر : 65]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:88]، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله = فهو مشرك كافر، وعمله حابط.

وبعد أن ذكر الشيخ أنواع العبادة ذكر دليل كل واحد منها.

قال:(وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة"[1]، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيۤ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَٰخِرِينَ ﴾ [غافر:60]).

والآيات التي فيها الأمر بالدعاء والثناء على الداعين كثيرة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:55]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:186]، وفي الحديث: " الدعاء مخ العبادة".

واستدل الشيخ بالآية والحديث على أن الدعاء من العبادة؛ لأنه تعالى قال في نفس الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ، وللحديث الثابت لفظه عن النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة "[2].

وقسَّم العلماء الدعاء إلى قسمين[3]:

1. دعاء المسألة، هو الطلب الصريح؛ كقول العبد: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم اهدني، وكما في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.
2. ودعاء عبادة، وهي: سائر العبادات.

فالصلاة دعاء، والصيام دعاء، والحج دعاء، والذكر كله دعاء، أي: دعاء عبادة.

---

[1](?) رواه الترمذي (3371) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

[2](?) رواه أبو داود (1479)، وصححه الترمذي (2969) وابن حبان (890) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

[3](?) مجموع الفتاوى: (10/258)، وجِلاء الأفهام ص160.

قال: (**ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:175]**) فأمر الله بالخوف منه، وخوف الله من أجل أحوال القلوب وأفضلها؛ لأنه يمنع صاحبه من الإقدام على معصية الله.

وفي معنى الخوف: الخشية والرهبة فمعانيها متقاربة، وكلها جاء ذكرها في القرآن، قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلاَ تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة : 44]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:57، 58]، وقال تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:51]، والآيات في ذكر الخوف كثيرة.

والخوف من الخلق مذموم: ومنه ما هو معصية، ومنه ما هو شرك، فالخوف من الأوثان والأموات واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يؤثرون بالنفع والضر = هذا شرك.

وأما خوف الإنسان من الأسباب المؤذية، كخوفه من العدو أو من السبع أو من غير ذلك من الأمور التي تضره؛ فهذا اسمه: خوف طبيعي.

(**ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾ [الكهف:110]**). والرجاء: هو الطمع في الفضل والعفو والرحمة.

وقد جمع الله بين هذين الوصفين -الخوف والرجاء- في قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ [الأنبياء:90].

وقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [السجدة:16] والطمع هو: الرجاء.

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء:57].

فالرجاء: هو طلب المحبوب.

والخوف: هو الحذر من المرهوب والمكروه، فالخوف من الله: خوف من عذابه ومن سخطه.

ومن أنواع العبادة التوكل: وهو اعتماد القلب على الله، وتفويض الأمور كلها إليه.

(**ودليل التوكل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23] وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : 3]**)، وأثنى على المؤمنين بالتوكل: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:2].

وهكذا يجب على المؤمن أن يتوكل على الله ولا يتوكل على سواه.

قال: (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾

[الأنبياء:90]. ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:3] .) وتقدم.

قال الشيخ: (ودليل الإنابة قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُواْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ ﴾ [الزمر: 54])

والإنابة هي : الرجوع إلى الله في كل الأمور، والإقبال عليه سبحانه وتعالى بعبادته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

(ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]، وفي الحديث : "إذا استعنت فاستعن بالله" [1].

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:1] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:1] .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:9]).

فالاستعانة: طلب العون، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بمعنى: أطلب العون منك يا الله.

والاستعاذة : طلب العياذ والعصمة، تقول: استعيذ بالله، أو: أعوذ بالله، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والاستغاثة: طلب الغوث، والسين والتاء للطلب.

ومن أنواع العبادة الذبح تقرباً وتعظيماً (ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام:162، 163]) وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر :2]، فقرن الله بين الصلاة والذبح، وهما يحصلا من المؤمن في يوم، في مثل يوم الأضحى ، يصلي صلاة العيد ويذبح القربان، فيحقق الأمرين.

(و) دليل الذبح (من السنة : "لعن الله من ذبح لغير الله"[2]).

وللذبح تقرباً إلى الله أنواع:

- الأضحية.
- والهدي في الحج أو العمرة.
- والعقيقة، وكلها من القربين والأنساك التي جاءت بها الشريعة .

(ودليل النذر قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَٰفُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ [الإنسان:7]). فأثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على الموفين بالنذر، والمراد نذر الطاعة لقوله ﷺ : "من نذر أن يطيع الله فليطعه" [3]، أما نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به لقوله ﷺ:" ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" [2]

---

[1](?) رواه أحمد 1/293، و الترمذي (2516) ـ وقال: حسن صحيح ـ ، والضياء في المختارة 10/22-25 ، وحسنه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص345.

[2](?) رواه مسلم: (1978) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[3](?) رواه البخاري: (6696) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فإذا نذر الإنسان أن يفعل طاعة وجب عليه أن يفي، كأن يقول: لله عليَّ أن أصوم يوماً، أو لله عليَّ أن أتصدق بكذا من المال، لكن ينبغي للإنسان أن لا ينذر؛ لأن النبي عليه نهى عن النذر وقال:" إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل"[1].

وقد ذم الله الذين يخلفون الوعد قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ فَلَمَّا ءَاتَىٰهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة:75] فمن قال: إن شفى الله مريضي تصدقت بكذا، فإذا شُفي مريضه أو حصل له المطلوب = بخل، فهذا تلبس بصفة من صفات المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾.

---

[1](?) رواه مسلم: (1639) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يقول الشيخ: **(الأصل الثاني)** من الأصول الثلاثة التي تجب على العبد معرفتها **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)** والإسلام: هو دين الله الذي بعث به رسله من لدن نوح إلى محمد .

وذكر الله أنه قال لإبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة:131]، وأولاد يعقوب قالوا لأبيهم: ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:133]. وقال الحواريون أتباع عيسى عليه السلام : ﴿ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:52].

(**وهو**): أي الإسلام. (**الاستسلام لله بالتوحيد**) أي بعبادته وحده لا شريك له بالتوحيد، **(والانقياد له بالطاعة)**، **(و)** هذا الاستسلام والانقياد يتضمن **(البراءة من الشرك وأهله**) وهذه هي حقيقة الإسلام.

قال الشيخ: **(وهو)** أي دين الإسلام **(ثلاث مراتب)** أي: درجات، وبعضها أكمل من بعض وأعلى من بعض.

للمرتبة الأولى: **(الإسلام)**.

(و) الثانية: **(الإيمان)**.

(و) الثالثة: **(الإحسان)**. وهذه المرتب مستفادة من حديث جبريل كما سيأتي.

قال الشيخ: (وكل مرتبة لها أركان).

(فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام).

هذه هي أصول الدين الظاهرة، ثم ذكر الدليل على كل ركن من هذه الأركان، قال:

(فدليل الشهادة) أي فدليل شهادة أن لا إله إلا الله، (قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]). وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]. وقال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، والأدلة على هذا كثيرة .

قال الشيخ: **(ومعناها)** أي شهادة أن لا إله إلا الله **(لا معبود بحق إلا الله)** أي أن كل معبود سوى الله باطل.

ولكن قد يقول قائل: هل هناك معبودات بغير حق؟ نقول : نعم آلهة المشركين معبودة بغير حق، ولما قال لهم النبي قولوا: لا إله إلا الله ، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً ﴾ [ص:5] ([1]).

ثم بيَّن الشيخ أن "لا إله إلا الله" مكونة من نفي وإثبات ،وهما ركنا شهادة أن "لا إله إلا الله"، فقوله: **(لا إله)** نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله، **("لا إله": نافياً جميع ما يعبد من دون الله)**، وإثبات في قوله: **("إلا الله": مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه)**، فإذا كان هو الذي له الملك كله، وهو خالق كل شيء، فيجب أن يكون هو المعبود وحده.

---

[1] (؟) رواه أحمد 1/227، وصححه الترمذي (3232)، و ابن حبان (6686)، والحاكم 2/432 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الشيخ: (**وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَٰقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف 26ـ 28]**) هذه الآية دلت على أن كلمة التوحيد تتضمن البراءة من المشركين وشركهم، ومثلها قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاَّ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:77]ـ ، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الممتحنة: 4]ـ فكلمة التوحيد تتضمن البراءة من المشركين وشركهم، وما يعبدون من دون الله.

(و) مما يُفسرها **(قوله: ﴿ قُلْ يٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64]ـ)** فعُلم أن كلمة التوحيد تتضمن إفراده تعالى بالربوبية والألوهية، فلا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أربلباً من دون الله، ولا يعبد الناس أحداً غير الله، فإذا أعرض الكفار والمكذبون عن هذا الأمر: ﴿ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مستسلمون لله عابدون له لا نشرك به شيئاً.

قال الشيخ -رحمه الله- : (**ودليل شهادة أن محمداً رسول الله** الله **قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128]**) يخبر الله سبحانه وتعالى ممتناً على عباده بإرسال محمد ﷺ، وهو رجل منهم يعرفون نسبه وسيرته، ويشق عليه الذي يشق عليهم، وهو حريص على هدايتهم حتى أنه كان يتحسر إذا لم يستجيبوا ولهذا قال الله: ﴿ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرٰتٍ ﴾[فاطر: 8] ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:3].

وقوله تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: رحيم بالمؤمنين، والله تعالى قد خصهم بقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:88].

(**ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله**)، أي حقيقة الإقرار والتصديق واليقين بأنه رسول من عند الله إلى جميع الناس، ومقتضى هذه الشهادة: (**طاعته فيما أمر**) قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن:12]ـ في مواضع كثيرة، ويقول تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:132]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:158].

(**وتصديقه فيما أخبر**) فهو أصدق الناس. **(واجتناب ما عنه نهى وزجر**).

(**وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع**) فعبادة الله لابد فيها من شرطين:

- الإخلاص لوجه الله .

- وموافقة أمر الله ورسوله، وهو المقصود بقوله "وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع"، فمن عبد الله بغير ما جاء به الرسول فعمله باطل؛ لأنه عمل مبتدع.

قال الشيخ : **(ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:5])** فهذه الثلاثة هي أعظم أركان الإسلام والكتاب والسنة تجمع بينها في مواضع متعددة، كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ أي: من الشرك ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:11] ، فأعظم هذه الأصول عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين لله، وبعد ذلك إقام الصلاة، فالصلوات الخمس هي عمود الإسلام، وهي أوجب الواجبات بعد التوحيد، والزكاة قرينتها في كتاب الله وسنة رسوله ،

فالصلاة هي حق الله على عباده في كل يوم وليلة، والزكاة حق الله على عباده في أموالهم، قال النبي في حديث معاذ: " فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم."([1])

قال الشيخ : (**ودليل الصيام قوله تعالى : ﴿ يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183])**.

أي: فرض عليكم الصيام، والمراد: "صيام شهر رمضان" كما بين ذلك في الآية التي بعدها ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فليصمه ﴾ [البقرة:185].

وقال : "بني الإسلام على خمس" [(2)] وذكر: صيام رمضان، فصيام شهر رمضان هو أحد مباني الإسلام.

قال الشيخ : **(ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱلله غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:97])**.

هذا هو الركن الخامس من أركان الإسلام ومبانيه العظام فرضه الله على المستطيع من عباده.

يقول الشيخ رحمه الله: (**المرتبة الثانية**): من مراتب الدين (**الإيمان**) وهي أعلى من التي قبلها؛ لأنها تتعلق باعتقاد القلب.

قال الشيخ: (**وهو**) أي الإيمان: (**بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** [(3)]).

فالإيمان له شعب كثيرة ظاهرة وباطنه، أفضلها كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، وهي أصل دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وهي مع شهادة "أن محمداً رسول الله" أصل هذا الدين الذي بعث الله به محمداً ، فهما جميعاً أصل واحد وبناء واحد،

---

[1] (?) رواه البخاري (1395)، ومسلم (19) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
[2] (?) رواه البخاري (8)، ومسلم (16) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
[3] (?) رواه مسلم (35) بنحوه من حديث أبي هريرة .

وأدنى هـذه الشـعب إزالة الأذى عن طريق النـاس، وهـذا يـدل على أن الإيمـان قـول وعمل، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال الشيخ: (**وأركانه**) أي: الإيمان **(ستة)**، وهي: (**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**).

هـذا طـرف من حـديث جبريـل، كما سـيذكره الشـيخ، والمـراد من الإيمـان هنـا: الاعتقاد، والإيمان بهذه الأصول الستة إجمالاً فرض عين على كل مكلف، وأما معرفتها والإيمان بها تفصيلاً = فهو فرض كفايـة، ولكن من علم شـيئاً من ذلك التفصـيل وجب عليه الإيمان به عيناً.

الأصل الأول: الإيمان بالله: ويشمل:

- الإيمان بوجوده.
- والإيمان بربوبيته.
- والإيمان بإلهيته.
- والإيمان بأسمائه وصفاته..

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة: ويشمل:

- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة من أسمائهم.
- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من صفاتهم.
- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أعمالهم: وهذا في القرآن كثير، فمنهم الحفظة الكاتبون، ومنهم الحفظة للعبد من بين يديه ومن خلفـه، ومنهم الموكلـون بقبض أرواح العـالمين، ومنهم الموكل بـإبلاغ الـوحي كجبريل عليه السلام.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب: ويتناول الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب ما علمنا منهـا، وما لم نعلم، وقد علمنا أن من كتب الله المنزلـة: التـوراة، والإنجيـل، والزبـور، والقرآن، وهو: أفضلها، والمصدق لها، والمهيمن عليها.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل: وهو قسمان:

- إيمان مجمل بجميع رسل اللـه: من قص علينا منهم ومن لم يقصص ﴿ وَرُسُـلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُـلاً لَّمْ نَقْصُصْـهُمْ عَلَيْـكَ وَكَلَّمَ ﷲُ مُوسَـىٰ تَكْلِيمـاً ﴾ [النسـاء:164]، فنـؤمن بـأن الله أرسل رسـلاً إلى العبـاد ليـأمرونهم بعبادته وحـده لا شريك له، وينهونهم عن الشرك به.
- إيمان مفصل بالرسل الذين قصهم الله علينا شيئاً من أخبارهم.

الأصل الخـامس: الإيمـان بـاليوم الآخـر: وهو يـوم القيامـة، والإيمـان بـاليوم الآخر يشـمل كل ما يكـون بعد المـوت، من عـذاب القـبر ونعيمـه، وما بعد ذلك من البعث والنشور والحشر والعرض والميزان، وآخر ذلك الجنة والنار.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر: وهو الإيمـان بـأن الله قـدر مقـادير الخلـق، وكتب كل ما سيكون.

والإيمان بالقدر أربع مراتب:

- الإيمــان بعلم الله الســابق بكل شــيء، ومن ذلك علمه بأفعــال العبــاد وطاعتهم ومعاصيهم.
- الإيمان بكتابته للمقادير.
- الإيمان بعموم مشيئته وأنه لا يخرج عن مشيئته شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
- الإيمان بأنه –تعالى- خالق كل شيء.

ولا يكون الإنسان مؤمنا بالقدر حتى يؤمن بهذه المراتب.

(والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاْخِرِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيّينَ ﴾ [البقرة : 177]، ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْء خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]).

يقول الشيخ رحمه الله : **(المرتبة الثالثة)** من مراتب الدين **(الإحسان)** وهو **(ركن واحد)**.

والإحسان أعلى مرتبة من مراتب الدين، ويشمل الإيمان والإسلام، ولهذا يقول العلماء: كل مؤمن مسلم، ولا عكس، وكل محسن مؤمن، ولا عكس.

والإحسان فسره الشيخ بما فسره به النبي ﷺ في حديث جبريل، والإحسان الذي أمر الله به عباده وأثنى على أهله في كتابه نوعان:

الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلى آخر الآية [النساء:36] .

الإحسان في العمل: وهذا هو المقصود هنا، والمراد إتقانه وإيقاعه على أكمل الوجوه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:125].

قال: **(وهو)**: أي الإحسان **(أن تعبد الله كأنك تراه)** والمعنى: أن تقبل على عبادة الله كأنك تراه.

والعباد لا يرون ربهم في الدنيا، وإنما يرونه يوم القيامة، كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث، ولكن المؤمن الصادق يحسن في عبادته لربه، فيعبده كأنه يراه خائفاً راجياً مقبلاً خاضعاً لربه متذللاً، ومن كان على هذه الحال فمعلوم أنه سيكون في غاية من الإقبال والصدق في العبادة.

قال: **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** والعبد لا يرى ربه، ولكن الله يراه، فينبغي للمسلم أن يستحضر إطلاع الله عليه وشهوده له فيوجب له ذلك تحقيق العبودية، وكمال الإقبال.

قال: (**والدليل قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:128]**) اتقوا ربهم وأحسنوا في تقواهم، وهذه هي: معية الله الخاصة قيدها بالمتقين، ونظير ذلك قوله سبحانه عن نبيه ﷺ : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:40]، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46] ، وهذه المعية تقتضي: التأييد والحفظ والنصر.

(**وقوله : ﴿ وَتَوكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء:217-220]**)

والمعنى: اعتمد بقلبك وفوض جميع أمورك إلى من يراك وأنت قائم في عبادته، وأنت بين الساجدين ومعهم؛ فإن توكلت عليه فإنه كافيك، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:3]، وهذا ظاهر الدلالة على معنى قوله ﷺ : "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1]

---

[1](؟) هذا طرف من حديث عمر ﷺ وسيأتي تخريجه.

(وقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُـرْءانٍ وَلاَ تَعْمَلُـونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فيه﴾ [يونس:61]) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ ﴾ أي: حـال من أحوالك الدينية والدنيوية ﴿ وَمَا تَتْلُـواْ مِنْـهُ مِن قُـرْءانٍ ﴾ أي وما تتلو من القـرآن الـذي أوحـاه الله إليـك، وهـذا أخص من قوله : ﴿ وَمَا تَكُـونُ فِى شَــأْنٍ ﴾؛ وخصــها بالــذكر؛ لأن تلاوته للقــرآن من أعظم شــؤونه ، ﴿ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ هذا هو الشاهد، والمعنى: إلا كنا حاضـرين وقت شـروعكم فيه واسـتمراركم على العمل بـه، فراقبـوا الله في أعمـالكم وأدوها على وجه النصـيحة والاجتهـاد فيهـا، وإياكم وما يكرهه الله تعالى فإنه مطلع عليكم عالم بظواهركم وبواطنكم.

وكل هذه الآيات تدل على مقام الإحسان، وأن الله سبحانه وتعالى يرى عبده في جميع أموره، وفي جميع أحواله، فهو حاضر يسمع كلام العبد ويرى مكانه، ويعلم سـره وعلانيته، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُـدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُـونَ ﴾ [القصص:69]، فـإذا استحضر العبد ذلك كان من أسباب إقباله على ربه، وصدقه في عبادتـه، وتكميله للعبـادة، ولكن بسبب الغفلة والذهول عن هذا الأمر يؤدي الإنسان العبادة بفتور، والمؤمن يـؤمن بـأن الله يراه، ولكن فرق بين الإيمان بهذا الأمر، وبين الشعور به واستحضاره.

و كثير من الناس لا يستحضر هذا الأمر، فهذا مقـام عظيم ، إنما يحققه الكُمَّل من المؤمنين.

وتقدم أن دين الإسلام ثلاث مراتب : الإسـلام ، والإيمـان ، والإحسـان ، وقد ذكرها للشيخ ، وذكر أركانها ومعناها، وأدلتها من القـرآن، ثم قـال: **(والـدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه)** أي: الـدليل على ما تقدم كله من السنة النبوية، وإذا أطلق حـديث جبريل يـراد به هـذا الحـديث، وقد روى هذا الحديث مسلم عن عمر (1)، ورواه أيضاً هو والبخاري بلفظ مختلف قليلا عن أبي هريرة (2) (**قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يـوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شـديد سـواد الشـعر لا يـرى عليه أثر الســفر ولا يعرفه منا أحد)** ظهر علينا من طريق أو من بـــاب بهيئة طيبة وجميلة ولكنه غـير معـروف يقـول : **(حتى جلس إلى النـبي فاسـند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه)** يعني: جلس قريباً منـه، فأسـند للسـائل ركبتيه إلى ركبتي للنبي ، ويديه على فخذي النبي مبالغة في القـرب، ومبالغة في الاستجواب. **(وقال: يا محمد)** خاطبه باسـمه؛ لإظهـار أنه جاهل جـاهٍ لا يعـرف، لأن عادة الأعراب إذا جـاءوا إلى الرسـول يقولـون: يا محمـد، أما الصـحابة الـذين حسن إسلامهم لا يقولون للرسول: يا محمد، وإنما يقولون: يا رسول الله، أو يا نبي اللـه، وهـذا أشـرف ما يـدعى به ، كما خاطبه الله بقولـه: "يا أيها النـبي "ـ "ـ يا أيها الرسول "ـ

(أخبرني عن الإسلام) أي ما هو الإسـلام. **(فقـال رسـول الله : الإسـلام: أن تشــهد أن لا إله إلا الله وأن محمــدا رســول الله ، وتقيم الصــلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)**

---

(1) رواه مسلم (8).
(2) البخاري (50)، ومسلم (9) ـ
(3) ص 21ـ

(قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه) العادة أن السائل لا يقول: صدقت، يقول: جزاك الله خيراً أحسن الله إليك، ولكن قوله: "صدقت" يدل على أن عنده خبراً، وهذا هو محل العجب.

ثم **(قال: فأخبرني عن الإيمان)** هذا هو السؤال الثاني، ما هو الإيمان ؟

(قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) فسر الإيمان بهذه الأصول الستة، وهذه كما تقدم هي أصول الاعتقاد، فجميع مسائل الاعتقاد ترجع إلى هذه الأصول، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية : « اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة ـ : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ... » (3).

(قال: صدقت) مثل ما قال في الأول **(قال: فأخبرني عن الإحسان)** ما هو الإحسان ؟

(قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) والمراد إحسان العمل وإتقانه بتحقيق المراقبة، وكمال الإخلاص.

(قال فأخبرني عن الساعة؟) متى الساعة، أي: القيامة **(قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)** أي: علمي وعلمك بها سواء، فإذا كنتَ لا تعلمها، فأنا كذلك لا أعلمها.

(قال: فأخبرني عن أماراتها) أي: علامات قيامها، **(قال: أن تلد الأمة ربتها)** وفي لفظ "ربها" الأمة: هي الأنثى المملوكة تلد ربها أو تلد ربتها، اختلف في معنى ذلك، وأحسن ما قيل: إنه إذا كثر الرقيق فربما ولدت المرأة ابناً ثم فارقته بسبب الرق، ثم اشتراها ولدها وهو لا يدري أنها أمُّه، فيصير سيداً لها، وقيل: إن الأَمَة إذا وطئها سيدها فولدتْ، فولدُ سيدِها سيدٌ لها.

(وأن ترى الحفاة العراة العالة) الحفاة: غير المنتعلين، والعراة: غير المكتسين، والعالة: الفقراء **(رِعَاء الشَّاء)** الذين من عادتهم رعي الغنم **(يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ)** والمراد: إذا رأيت سكان الصحراء يهبطون إلى القرى، ويبنون فيها المساكن ويتنافسون في طول البنيان، وعلامات قيام الساعة كثيرة، كما جاءت الأدلة بذكرها.

(قال: فمضى) أي: خرج الرجل ومشى قال: **(فلبثنا ملياً)** أي: زمناً، وفي رواية: "فلبثت ثلاثا"(1)، فلقي النبي عمر **(فقال: يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)**

فهذا الحديث عظيم أشتمل على فوائد كثيرة، فقد أشتمل على ذِكر أصول الدين الاعتقادية والعملية، وذكر مقامات الدين ومرلتبه، وفيه الدلالة على أن الساعة مما استأثر الله بعلمه، وفيه دليل على بعض علاماتها ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:18] أي: علاملتها.

قال: **(الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد)** من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها، وهي مدار العلم.

وتقدم ذكر المرسِل: وهو الله تعالى، والرسالة: وهي دين الإسلام، والآن يتحدث الشيخ عن المرسَل أو للرسول وهو محمد ، فمعرفته واجبة.

ثم ذكر الشيخ تعريفاً موجزاً عن النبي ، ومن ذلك ذكر نسبه قال: **(وهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش)** ولهذا يُقال له هو وقبيلته: بنو هاشم، وهاشم من قريش، وهو: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، إلى أن ينتهي نسب النبي إلى عدنان.

يقول: **(وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)** إذاً؛ نبينا محمد ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وقد قال : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم "[2].

ثم ذكر الشيخ عُمُر الرسول ، يقول: **(وله من العمر : ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً)** مضى عليه أربعون وهو لا يعلم شيئاً مما جاءه ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:3]، ﴿قُل لَّوْ شَاء ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:16] وثلاثة وعشرون سنة كان نبياً رسولاً .

ثم ذكر الشيخ ما نُبئ به وأرسل به من القرآن، فيقول رحمه الله : **(نبئ بـ "اقرأ")** أي أنه أوحي إليه فصار نبياً بنزول أوائل سورة العلق، جاءه جبريل عليه السلام ـ وهو يتعبد في غار حراء ـ فقال: "اقرأ. قال: ما أنا بقارئ . قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم" [3]، وبهذا صار نبياً.

(وأرسل بـ "المدثر")؛ لأن فيها التنصيص على الأمر بالنذارة.

(**وبلده مكة وهاجر إلى المدينة**) ثم ذكر الشيخ بلد الرسول ، وهي مكة، البلد الحرام وأفضل بلاد الله، وأحب البلاد إلى الله، إذاً؛ فالله تعالى اصطفى أفضل الرسل من أفضل البلاد، وأفضل الشعوب وأشرف القبائل .

قال الشيخ: **(بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:1-7]، ومعنى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد ، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾: أي عظمه بالتوحيد، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أي طهر أعمالك عن الشرك، ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ : الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة منها وأهلها**).

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ انذر عن الشرك وادع إلى التوحيد ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظمه بالتوحيد ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ : الرجز : الأصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها .

يقول للشيخ : **(أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرج به إلى السماء)** عشر سنين وهو يدعو إلى التوحيد، ويأمر بالأخلاق والعفاف والصلة والصدقة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من هناك إلى السماء، وشاهد ما شاهد، ولقي من لقي من الأنبياء

---

(1) رواه الترمذي (2610) ـ وصححه ـ والنسائي 8/97.

(2) رواه مسلم (2276) من حديث واثلة بن الأسقع .

(3) رواه البخاري (3)، ومسلم (160) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(وفرضت عليه الصلوات الخمس) فرضت خمسين ثم لم يـزل يطلب من ربه التخفيف حتى صارت خمساً **(وصلى في مكة ثلاث سنين)** بعد ما فرضت عليه الصـلوات الخمس **(وبعـدها: أمر بـالهجرة إلى المدينـة)**؛ لأنه أوذي هو وأصحابه في مكة، فهاجر بعض أصحابه إلى الحبشة مرتين، ثم أذن الله له بـالهجرة إلى المدينة، بعدما لنتشر الإسلام فيها وصارت دار إسلام، وبعد أن وفد إليه الأنصـار وبليعوه على أنه إذا أتاهم يحمونه وينصرونه، فهاجر وأبو بكر .

قال: **(والهجرة)** حقيقتها **(الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)**

والهجر في اللغة: الترك، فالانتقال فيه تـرك، الانتقـال تـرك للبلد الـتي ينتقل منها إلى بلد آخر، وهذه الهجرة الخاصـة، أما الهجـرة العامة فهي هجر ما نهى الله عنه كما في الحـديث الصـحيح عن النـبي : " المهـاجر من هجر ما نهى الله عنـه"[1] من كل المعاصي .

يقول الشيخ: (**والهجـرة فريضة على هـذه الأمة من بلد الشـرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقـوم السـاعة، والـدليل قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَـٰلِمِىٓ أَنفُسِـهِمْ قَـالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَـالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِـعَةً فَتُهَـٰجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَـاءتْ مَصِـيراً * إِلاَّ ٱلْمُسْتَضْـعَفِينَ مِنَ ٱلرّجَـالِ وَٱلنّسَاء وَٱلْوِلْدَٰنِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَـى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ [النساء:97ـ99].**) ففي هـذه الآية دلالة على أن الملائكة تـوبخ الـذين أسـلموا وبقـوا مسـتخفين لا يظهـرون دينهم وتنذرهم سوء المصير؛ لأن الأرض واسـعة يمكن للمضـطهد والمسـتذل والمظلـوم أن يتحـول إلى نـواحي أرض الله الواسـعة ليجد مكانـاً يـراغم فيه الأعـداء، واسـتثنى من الوعيد المستضـعفين فقـال: ﴿ إِلاَّ ٱلْمُسْتَضْـعَفِينَ﴾ الذيـن﴿ لاَ يَسْـتَطِيعُونَ حِيلَـةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾ **(و)** كذلك من الأدلة **(قوله تعـالى : ﴿ يٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءامَنُـواْ إِنَّ أَرْضِـى وَاسِـعَةٌ فَإِيَّاىَ فَٱعْبُـدُونِ﴾ [العنكبـوت:56]).** وهـذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمـنين بـالهجرة من البلد الـذي لا يقـدرون فيها على إقامة الـدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين، وأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم.

(**قال البغوي رحمه الله تعالى)** المفسر المعروف، حسين بن مسعود صاحب تفسير "معالم التنزيل" يقول : (**سبب نـزول هـذه الآية في المسـلمين الـذين بمكة لم يهاجروا، نـاداهم الله باسم الإيمـان**) (2) فـإذا كـان الإنسـان في بلد الشـرك والكفـر، وهو لا يسـتطيع أن يظهر دينه = وجب عليه أن يهـاجر ويفـارق أرض المشركين وأرض الكفار .

(**والـدليل على الهجـرة من السـنة قوله : "لا تنقطع الهجـرة حـتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها" [2]**) فـإذا طلعت الشـمس من مغربها أغلق بـاب التوبة فلا يمكن لأحد أن يتـوب، لا الكـافر من كفره، ولا العاصي من معصيته، وفي الحديث الصحيح عن النـبي : " لا تقـوم السـاعة

---

[1](?) رواه البخاري (10)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(2) معالم التنزيل 2/272 بمعناه.
[2](?) مسند أحمد 4/99، وأبو داود (2479)، من حديث معاوية .
(2) رواه البخاري (4635)، ـ واللفظ له ـ ومسلم (157)، من حديث أبي هريرة .
(3) رواه البخاري (3667-3668) من حديث عائشة رضي الله عنها .

حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فـذاك حين ﴿ لاَ يَنفَـعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنعام:158]" (2).

وتقـدم أنه أقـام بمكة ثلاث عشـرة سـنة، ثم أمر بـالهجرة إلى المدينـة، **(فلما اسـتقر بالمدينة أمِر ببقية شـرائع الإسـلام مثـل: الزكـاة والصـوم والحج والجهــاد والأذان والأمر بــالمعروف والنهي عن المنكــر، وغــير ذلك من شــرائع الإســلام)**؛ لأنه في مكة أول ما فـرض عليه من أركـان الإسـلام العمليـة: الصلوات الخمس، وفي المدينة أمر ببقية شرائع الإسـلام، وبعضـهم يقـول: إن الزكـاة فرضت في مكة، ولكن تفاصيل أحكامها كان في المدينـة، وفُـرض الصـيام في السـنة الثانية من الهجرة فصام النبي تسع رمضانات فقط.

وفرض الحج في السـنة التاسـعة من الهجـرة على الصـحيح، وأُمر بـالأذان للصـلاة ولم يكن مشــروعاً قبل ذلـك، وشُــرع الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، والجهـاد فسُيِّرت السرايا والجيوش من المدينة لغزو الكفار وحربهم؛ لأن الدولة النبوية تكــونت في المدينة.

يقول الشيخ : (**أخذ على هذا عشر سنين**) وهو في المدينة، (**وبعدها تــوفي صلوات الله وسـلامه عليه**)، في ربيع الأول من السـنة العاشـرة؛ بل على التـاريخ المعروف تكـون في السـنة الحادية عشـرة، فتم له عشر سـنين في المدينة لأنه قـدم في ربيع الأول وتوفي في ربيع الأول فهذه عشر سنين.

يقول الشيخ : (**ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليــه، ولا شر إلا حــذرها منــه، والخــير الــذي دل عليــه: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه ويأباه**) وقد تــوفي ، ولكن دين الله باق محفوظ، لأن الله قد ضمن حفظه، ولما مات وفُجع الناس بموته صلوات الله وسلامه عليه، وطاشت العقول، جاء أبو بكر وخطب الناس وبين لهم أنه بشر وأنه سيموت، وقال: "من كان يعبد محمـداً فـإن محمـدا قد مـات ومن كـان يعبد الله فـإن الله حي لا يمـوت، وتلا عليهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُـولٌ قَـدْ خَلَتْ مِن قَبْلِـهِ ﴾الرُّسُلُ أَفإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾نقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾(3) الآية : [آل عمـران:144]. ﴿ إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ﴾لْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:30-31].

قال الشيخ: **(بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والـدليل قوله تعـالى : ﴿ قُـلْ يٰأَيُّهَا ﷺلنَّاسُ إِنّى رَسُولُ ﷺللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:158])**.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ كَافَّةً لّلنَّاسِ ﴾ [سـبأ:28]. فهو رسـول الله إلى جميع النـاس، إلى اليهود والنصارى والوثنيين وسائر البشر، إلى العرب والعجم، ومن قال: إنه رسول إلى العرب دون غيرهم = فهو كافر لم يشهد أن محمداً رسـول اللـه،كما يـزعم بعض النصارى ويقول: صحيح أن محمداً رسول لكنه رسول إلى العـرب. ومن يظن هـذا من المسلمين أو يعتقده = فهو مرتد عن الإسلام.

فكل من خرج عن شـريعة محمد ﷺ فهو كـافر، وفي نـار جهنم إن مـات على ذلك كما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: " : والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهـودي ولا نصراني ثم يمـوت ولم يـؤمن بالـذي أرسـلت به إلا كـان من أصحاب النـار "[1] وذلك لأن دين اليهود والنصارى الذي يتدينون به الآن دين باطل.

يقـول الشـيخ: (**وأكمل الله به الـدين**) أكمل الله برسـالته ﷺ الـدين، فقد جـاء بالشريعة الخالدة الكاملة.

(**والـدليل قوله تعـالى : ﴿ ﷺلْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ﷺلأسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة:3]).**

وهذا الدين محفـوظ بـاق ببقـاء أهله أن تقـوم السـاعة، في الحـديث الصـحيح عن النبي ﷺ: " لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خـالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " [2] (**والـدليل على موته ﷺ قوله تعـالى : ﴿ إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُـونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عِنـدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِـمُونَ ﴾ [الزمر:30،31).**

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ **(والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعـالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيـدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْـرِجُكُمْ تَـارَةً أُخْـرَىٰ ﴾ [طـه:55]ـ ، وقوله تعـالى: ﴿ وَﷺللَّهُ أَنبَتَكُمْ مّنَ ﷺلأرْضِ نَبَاتـاً ثُمَّ يُعِيـدُكُمْ فِيهَا وَيُخْـرِجُكُمْ إِخْرَاجـاً ﴾ [نـوح:17،18]، وبعد البعث محاسـبون ومجزيـون بأعمـالهم، والدليل قوله تعـالى: ﴿ لِيَجْـزِىَ ﷺلَّذِينَ أَسَـاءواْ بِمَا عَمِلُـواْ وَيِجْـزِى ﷺلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِﷺلْحُسْنَى ﴾ [النجم:31])** .

بعد ما ذكر الأصـول الثلاثة أتبع ذلك بـذكر أصل من أصـول الإيمـان، وهـو: الإيمـان بالبعث بعد الموت، وهذا هو الذي كفَر به أعداء الرسل الأولون والآخرون، قال تعـالى: ﴿ فَقَالَ ﷺلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْء عَجِيبٌ * أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِـكَ رَجْـعُ بَعِيـدٌ﴾ [ق:2-3]

وقد أمر الله نبيه أن يقسم بربه على وقـوع البعث، قـال تعـالى:﴿ زَعَمَ ﷺلَّذِينَ كَفَـرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:7]، وقـال تعالى: ﴿ وَقَالَ ﷺلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

[1] (؟) رواه مسلم (153) من حديث أبي هريرة ﷺ.

[2] (؟) رواه البخاري (3641)ـ ـ واللفظ له ـ ومسلم (1037) من حديث معاوية ﷺ.

لاَ تَأْتِينَا ﴿السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ:3]، وقال تعالى:﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:53].

فالإيمان بالبعث أصل من أصول الإيمان ويُعبر عنه باليوم الآخر، والآيات في ذكر البعث كثيرة جداً، قال تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:55]ـ فالله خلق الناس من تراب ثم يعيدهم في التراب ثم يخرجهم تارة أخرى، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:25] وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [نوح:17] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:43-45]ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:16].

يقول الشيخ : (**ومن كذَّب بالبعث كفر**) حتى لو آمن بالله ؛ لأنه أنكر أصل من أصول الإيمان، (**والدليل قوله تعالى :** ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ **[التغابن:7]**) إذاً؛ إنكار البعث هو من عقائد أهل الكفر كما في هذه الآيات .

والبعث : المراد به إخراج الناس من قبورهم ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الأنفطار:4].

والبعث له غاية، وهو: الحساب والجزاء، فالناس بعد البعث محاسبون ومجزيون على أعمالهم، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:7،8]ـ ﴿ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:31]ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية:15].

ويوم القيامة له أسماء كثيرة منها:

يوم القيامة، ويُقال له الساعة، ويوم النشور، ويوم الحساب، ويوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:17-19] .

فهذه الحياة الدنيا ليست كما يظنها الكافرون دائمة، وأنها أجيال تنقرض وتذهب، وأجيال تظهر وتنشأ إلى ما لا نهاية، لا، الأمر ليس كذلك؛ فهذه الدنيا لها عمر، ولها نهاية وأجل، وأجلها هو: قيام القيامة الذي استأثر الله بعلمه، وكتمه عن خلقه فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل .

ثم إذا قامت القيامة وبُعث الناس من قبورهم، جمع الله الأولين والآخرين ﴿ قُلْ إِنَّ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الآيات : [الواقعة:49ـ50].

واليهود والنصارى يؤمنون بالبعث لكن ليس على الوجه المشروع، وإذا آمنوا به وأمنوا بالجنة والنار فلهم عقائد في البعث وفي الجنة والنار باطلة، ولو آمنوا به إيماناً صحيحاً لكانوا كفاراً بتكذيبهم رسالة محمد .

فالكفر: يكون باعتقاد الشخص عقيدة واحدة من عقائد الكفر أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فالمشركون كفروا بأشياء كثيرة: بالشرك وبتكذيب الرسول وبجحد اليوم الآخر، فعندهم أنواع من الكفر.

ولا يجازى الإنسان على العمل السيئ بأكثر مما عمله، وإنما يجزئ بمثل عمله قال تعالى: ﴿ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:160] وهذا من كمال عدل الله وفضله وإحسانه، واستدل الشيخ لذلك بقوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ أما المحسنون فقال الله تعالى: ﴿ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:31] فهم يجزون بأفضل مما عملوا، وبأكثر من أعمالهم، والحسنى (فعلى) بمعنى: الأحسن، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِى جَاء بِالصّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر:33-43] ، هذا الشاهد : ﴿ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

يقول الشيخ رحمه الله: (**وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين**) بعد ما ذكر الشيخ من أصول الإيمان البعث والحساب والجزاء = ذكر أصلاً آخر من أصول الإيمان وهو الإيمان بالرسل.

فالله أرسل الرسل لقطع العذر وإقامة الحجة حتى لا يقول قائل: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾[طه:134]، فهم مرسلون ليبشروا من أطاعهم بوعد الله وثوابه وكرامته وينذروا من عصاهم بالعقاب.

(**والدليل قوله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:165].).**

(**و**) هؤلاء الرسل **(أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد)** بعث الله نوحاً إلى قومه وهم أهل الأرض إذ ذاك لما حدث فيهم الشرك، فأقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم، ثم أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:36]. وقال سبحانه وتعالى :﴿ وَمَا ءامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:40] .

وآخر هؤلاء الرسل هو نبينا محمد ، خُتمت به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ، وهو نبي الساعة؛ لأنه بُعث بين يدي الساعة، يقول : " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم " [1].

---

[1](?) رواه أحمد 2/50 من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ولنظر: إرواء الغليل 5/109.

يقـول الشـيخ : **(الـدليل على أن أولهم نـوح قوله تعـالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْـدِهِ﴾)** فـذكر الله في هـذه الآية أول الرسل وآخرهم ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطـاب لمحمد وهو آخـرهم، ﴿ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ وهو أولهم، فجمع الله في هذه الآية بين طرفي سلسلة الرسل.

قـال: (**وكل أمة بعث الله إليها رسـولاً من نـوح إلى محمد ؛ يـأمرهم بعبادة الله وحــده، وينهاهم عن عبادة الطـاغوت. والـدليل قوله تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلّ أُمَّةٍ رَّسُـولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُـواْ ٱلْطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:36])**

دين الرسل كلهم واحد هو الإسـلام، فكل رسـول بعثه الله إلى قومه يـدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة الطاغوت، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلْطَّـٰغُوتَ﴾ فهذا يدل على أن دعوة الرسل واحدة ودينهم واحد هـو: الإسـلام، لكن الشـرائع، وكيفية العبـادات تتنـوع وتختلـف، وهنـاك عبـادات في الشــرائع الماضـية موجـودة في هـذه الشــريعة، فهي مشتركة، كالصلاة والزكاة والصيام بل والحج، كما دلت على ذلك النصوص.

وإرسال الرسل رحمة من الله للبشر ولولا ذلك لتخبطوا في الظلمات ولَمَا اهتدوا إلى الطريق القويم، ولكن رسل الله جـاءت تـترا واحد بعد واحـد، أرسل الله نوحـاً ثم هودا ثم صالحاً، وكان آخرهم خاتم النبيين محمد أرسـله الله إلى النـاس أجمعين، كما قـال تعـالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ كَافَّةً لّلنَّاسِ﴾ [سـبأ:28]ـ ﴿ قُـلْ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158] .

قال الشيخ : **(وافترض الله على جميع العبـاد الكفر بالطـاغوت والإيمـان بالله)** وهـذا هو أول واجب على العبـد، فـالكفر بالطـاغوت الـبراءة من كل ما يُعبد من دون الله ، والإيمان بالله هو: الإيمان بربوبيته وإلهيته.

ثم نقل الشيخ تفسير ابن القيم لمعنى الطاغوت فقال:

(قال ابن القيم رحمه الله تعالى): ـ وهو الإمام المعروف بـالعلم والتحقيق والاجتهاد صاحب المؤلفات الكثيرة ـ يقول: (**الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.**) أي أن كل من غلا فيه الإنسـان وتجـاوز به الحد فرفعه عن منزلته فهذا هو الطغيان والغلو.

فمن عبد غير الله فقد تجاوز به الحد، فإن المخلـوق عبد لا يرتفع إلى منزلة الإلهية **(أو متبوع)** أي: إمام له أتباع، فمن اتخذ له إماماً وتجاوز به الحد بـأن جعله بمنزلة الرسول ، وأنه معصوم؛ فهذا للمتبوع إذا كان راضياً بما يفعله هـؤلاء الأتبـاع = فهو طاغوت.

وكذلك من له سلطان على الناس إذا غلا فيه الناس حتى جعلوا طاعته لازمة كطاعة الرسول وطاعة الله فقد تجاوز الإنسان بهذا المطاع حده.

يقـــول الشـــيخ: **(والطـــواغيت كثـــيرة)** هنـــاك كمٌّ هائل يُعبد من دون الله **(ورؤوسهم خمسة)** أي: كبارهم ورؤسائهم **(إبليس لعنه الله)** هذا هو طاغوت الطـواغيت، إبليس اللعين، وينبغي أن تقـول: اللعين ولا تقـول: لعنه اللـه؛ لأننا لم نتعبد بالـدعاء عليـه، إنما تُعبـدنا بالاسـتعاذة بالله من شـره في مواضع كثـيرة: عند افتتاح الصلاة، وقبل تلاوة القرآن، وعند دخول الخلاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وفي مواضع كثيرة ذكرتها النصوص.

(ومن عُبد وهو راضٍ) احترازاً من الأنبياء والملائكة؛ فإن بعض المشركين يعبدهم، ولكنهم غير راضين بذلك، بل يتبرءون من عابديهم **(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)** أيُ طغيان فوق هذا للطغيان أن يدعو الناس إلى أن يعبدوه! ومن أطاعه فقد تجاوز به الحد **(ومن ادعى شيئاً من علم الغيب)** فإن ذلك يناقض قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوٰتِ وٱلاْرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ ﴾ [النمل:65] فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو طاغوت.
(ومن حكم بغير ما أنزل الله) فهو طاغوت، وقد يكون كافراً، وقد لا يكون كافراً لكنه طاغوت؛ لأنه تجاوز بهذا الحكم حده، ومن أطاعه في ذلك ووافقه في ذلك = فقد غلا فيه وتجاوز به حده.
ثم ذكر الشيخ الدليل على وجوب الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، يقول: **(والدليل قوله تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة:256]).**
يقول الشيخ: **(وهذا معنى: لا إله إلا الله)** أي: أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو: معنى لا إله إلا الله.
قال الشيخ: **(وفي الحديث: "- رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"-)**[1] هذا طرف من حديث معاذ الطويل الذي رواه الترمذي وغيره، قال : قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال : "لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه" ـ إلى أن قال النبي ﷺ لمعاذ: ـ "- ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده وذروة سنامه؟ "- قلت: بلى يا رسول الله، قال : "رأس الأمر الإسلام "- أي: رأس الأمر وأوله وأعلاه هو الإسلام ، الذي هو: معنى لا إله إلا الله.
قال:"وعموده الصلاة "- التي هي: أوجب الواجبات على المسلمين بعد التوحيد.
قال: "- وذروة سنامه الجهاد "- أي: أعلاه؛ فإذا كانت سوق الجهاد قائمة، والية الجهاد مرفوعة = فهذا عنوان العز، -عز الإسلام وأهله- ومتى ترك الناس الجهاد ــ كما هو الواقع ـ = ذلوا وهانوا.
(والله أعلم، وصلى الله على محمد ، وآله وصحبه وسلم).

مراجع التحقيق

- الأحاديث المختارة: للضياء المقدسي، ت: د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، ط: الأولى.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الثانية.
- الاستقامة: لابن تيمية ، ت: محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة، ط: الأولى.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ت: محمد النمر، وصاحبيه، دار طيبة، ط: الثانية.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الإصدار الثاني، ط: الأولى .
- تهذيب الآثار: لابن جرير الطبري ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي.

[1] (؟) رواه أحمد 5/231، والترمذي (2616) وقال: حسن صحيح.

- التوحيد: ابن خزيمة، ت: محمد خليل هراس ، دار للكتب العلمية، 1412هـ .
- جامع للبيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير للطبري، دار الفكر، 1405هـ.
- جامع العلوم والحكم : لابن رجب ، ت: طارق بن عوض الله ، دار ابن للجوزي، ط: للثلنية.
- للجامع الكبير: للترمذي: ت: د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، ط: الثلنية .
- جلاء الأفهام : لابن القيم، ت: زائد للنشيري ، دار عالم للفوائد، ط: الأولى.
- الروح: لابن للقيم ، ت: د. للسيد الجميلي ، دار للكتاب العربي، ط: السادسة.
- سنن أبي داود، دار للفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، ت: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.
- صحيح للبخاري ، عناية : محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة، ط: الأولى .
- صحيح مسلم ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار للصميعي، ط: الأولى.
- العقيدة للواسطية: ابن تيمية ـ ضمن شرحها: توضيح مقاصد للواسطية ـ: عبد الرحمن للبراك، ت: عبدللرحمن للسديس، دار - التدمرية، ط: الأولى ـ
- فتح الباري: ابن رجب، ت: محمود بن شعبان وجماعة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط: الأولى.
- الكافية للشافية: ابن للقيم ، ت: محمد العريفي وجماعة ، دار عالم للفوائد، ط: الأولى.
- مجموع للفتاوى : ابن تيمية، ت: عبد الرحمن ابن قاسم ولبنه محمد ، دار عالم الكتب، 1412هـ.
- مسند الإمام أحمد ، ت: شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ـ
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: العراقي، بهامش إحياء علوم الدين، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط: الأولى.
- المقاصد الحسنة: السخاوي، ت: محمد الخشت، دار للكتاب العربي، ط: للثلنية.